مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (2)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (2) 2018

منهجُ القدماء في التعامل مع اللهجات وموقفُ المُحدَثين

د . إبراهيم البب*
مهران محمد سمعول**

(تاريخ الإيداع 12 / 2 / 2018. قبل للنشر في 8 / 5 / 2018)

ملخّص

يقوم هذا البحث على دراسة مفهوم اللهجات عند القدماء والمُحَدثين ، فموضوع اللهجات في النحو العربي موضوعٌ أصابه الخلط والاضطراب عند التقعيد للغة العربيَّة ، وذلك عندما قاموا باستخدام مصطلح (اللهجة) و(اللغة) في تعبيرهم عن الاختلافات اللهجية بين القبائل ، وهذا ما أشارت إليه دراسات المُحدَثين ، أضف إلى ذلك أنَّه لم تكن لديهم مصنفاتٌ مستقلةٌ ، تختصُّ بدراسة كلِّ لهجة على حدة ، فحددوا القبائل الفصيحة التي يمكن الأخذ بلغتها ،وتركوا القبائل الأخرى بحُجَّة خروجها عن المستوى اللغوي الفصيح ، لذلك سيكون اعتمادي في هذا البحث مركَّزاً على مسألتين: الأولى : منهجُ القدماء في تعاملهم مع اللهجات معتمداً في ذلك على ما ورد في كتاب الخصائص لابن جني، وكتاب سيبويه ، وكتاب الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ، وكتاب المقتضب للمبرد وغيرها من الكتب التي تناولت هذا الموضوع ، والثانية : موقفُ المُحدَثين وأبرزُ انتقاداتهم لمنهج القدماء .

الكلمات المفتاحية : اللَّهجة ، اللُّغة ، القدماء ، المُحدَثون .

*أستاذ ، قسم اللغة العربية ، نحو وصرف ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية
**طالب دراسات عليا (ماجستير) ، قسم اللغة العربية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (2)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (2) 2018

The approach of the ancients in dealing with dialects and the position of modernists

Dr. Ibrahim Al-Bab [*]
Mehran Mohamed Samol [**]

(Received 12 / 2 / 2018. Accepted 8 / 5 / 2018)

□ ABSTRACT □

The subject of dialects in Arabic grammar is a subject of confusion and confusion at the time of Arabic grammar when they used the term "dialect" and "language" in their expression of the dialectic differences between the tribes. The modernists, moreover, did not have independent works, which were specialized in studying each dialect separately. They identified the clear tribes that could be adopted in their language, and left the other tribes under the pretext of leaving the linguistic level. Therefore, my dependence on this research will focus on two issues: The ancients in their dealings with dialects, relying on what was in the book properties of Ibn-taking, book Sibawayh, book Alsahabay in the jurisprudence of the language of Ibn Faris, a book brief cooler and other books on this subject, and the second: modern attitude and the most prominent criticism of the approach to the ancients.

Keywords : Ialect , language , ancients , modernists.

[*]**Professor in the Department of Arabic Language, Towards and Dissemination, Tishreen University, Lattakia, Syria**
[**]**Postgraduate student (MA), Department of Arabic Language, Tishreen University, Lattakia, Syria**

مقدمة :

لقد قام منهج النحاة في التقعيد للعربيَّة في المرحلة الأولى على الرحلة إلى البادية والسماع عن الأعراب ، وكانت الغايةُ من السماع جمعَ القدر الأكبر من لهجات القبائل التي كانت منتشرةً في أنحاء جزيرة العرب ، ومن هنا كانت اللهجةُ والكيفيَّةُ التي نطق بها العربيُّ أينما وُجدَ الهدفَ الأولَ عند النحاة ، وبعد انتهائهم من عملية الاستقراء أدخلوا هذه اللهجات في سُلَّم الأحكام التقويميَّة ؛ فحددوا الفصيح منها والضعيف والمردود وغيرَ ذلك من الأحكام التي أخرجت بعضَ هذه اللهجات من مجال الفصاحة، فأبعدوها عن نظرية الاحتجاج ، هذا المنهج لم يرضَ عنه المُحدَثون، فحفِلت دراساتُهم بالانتقادات لصنيع النحاة مشيرين إلى ما كان على النحاة فعلُه فيما يخصُّ هذا الموضوع .

أهميَّةُ البحث وأهدافُه :

تأتي أهميَّةُ هذه الدراسة كونها تركِّز على قضيَّةٍ محوريَّةٍ من قضايا نظرية الاحتجاج ؛ فاللهجةُ هي الأساسُ الأولُ عند النحاة في السماع من أفواه العرب ، وقد قامت رحلاتُهم السماعيَّةُ إلى البادية على هذا الأساس ، ومن هنا يهدف هذا البحث إلى الكشف عن منهج تعامل القدماء مع اللهجات ، وعن انتقادات المُحدَثين وآرائِهم إزاء هذا المنهج .

الدراساتُ السابقة :

كثُرت الدراسات الحديثة التي تناولت موضوعَ اللهجات في التراث، وقد اعتمدتُ دراستين :

الأولى : اللهجاتُ العربيَّةُ للدكتور إبراهيم أنيس :

وهي دراسةٌ تناول فيها الدكتور إبراهيم أنيس اللَّهجات ، وكيف كان يُنظر لها ، وعلاقتَها بالقراءات القرآنية ، وخصائصَها الصوتيَّة وقبائلَها .

الثانية :اللهجاتُ العربيَّة نشأةً وتطوراً للدكتور عبد الغفار حامد هلال :

وهي دراسةٌ مكثفةٌ ، جاءت على أربعة أبواب ؛تحدَّث فيها عن كل ما يتعلق باللُّغة واللَّهجة والصِّلةِ بينهما ، وعن مظاهر اختلاف اللهجات، والدرسِ اللهجيِّ الحديث

منهجيَّة البحث :

تعتمدُ هذه الدراسةُ على المنهج الوصفي ؛ ذلك أنَّه يقوم على تحليل الظاهرة اللغويَّة وتتبعِها أينما وردت في مصادرها ؛ فقد قمت بالتتبع لظاهرة اللهجات في كتب النحاة قديماً وحديثاً محاولاً الكشف عن المنهج الذي كان عند النحاة في التعامل معها ، واعتمدت في ذلك على كتاب سيبويه ، وكتاب فقه اللغة العربيَّة وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس ، وكتاب الخصائص لابن جني ، ثم انتقلت إلى كتب المُحدَثين الذين أعطوا هذه الظاهرة اهتماماً كبيراً في دراساتهم.

أولاً: اختلاف اللهجات :

لقد كان العرب أمَّةً متفرقةً إلى قبائلَ ، وكانت هذه القبائل منتشرةً في الجزيرة العربيَّة ، وبدءاً من العصر الجاهلي كانت لكلَّ قبيلةٍ صفاتُها الكلاميَّةُ في المواقف العاديَّة،وفي المواقف الرسميَّة كان الخاصَّةُ من أفراد تلك القبائل يستخدمون اللغة المشتركة،واستمرَّ هذا الأمرُ حتى بعد مجيء الإسلام،وفي فترة تدوين اللغة انطلق العلماء لجمعها من المصادر الموثوقة ، وبذلوا في ذلك جهوداً لا تُنكر، واعتمدوا على الرحلة إلى البادية والاستماع إلى أفراد كلِّ قبيلة ، واعتمدوا أيضاً على الأعراب الذين كانوا يفِدون إلى البَصْرة والكوفة0[1]

إنَّ الازدواجيةَ اللغويَّةَ أمرٌ واردٌ في اللغة العربيَّة ، وقد نشأت قبل الإسلام بين اللغة الفصيحة ولهجات القبائل،فكانت اللغةُ الفصيحةُ لغةَ الأدب والعهودِ والمواثيقِ ، وكانت لهجاتُ القبائلِ لغةَ التفاهم في الحياة اليوميَّة ،ولم يكن هناك الفارقُ الكبيرُ بين هذين المستويين ؛ لأنَّ اللهجات ليست لغاتٍ مستقلةً ، وإنَّما هي اختلافاتٌ صوتيَّةٌ وصرفيَّةٌ بين القبائل ، تتعلق بمظاهر الإمالة والفتح والهمز والتسهيل والإدغام . [2]فالوحدةُ اللغويَّةُ التي صادفها الإسلام عند ظهوره ، وقوّاها القرآنُ الكريم بعد نزوله لا تنفي ظاهرةَ تعدد اللهجات قبل الإسلام وبقاءَها بعده ، إنَّما كان من المؤكَّد أنَّ عامة العرب لم يكونوا إذا عادوا إلى أقاليمهم يتحدثون بتلك اللغة المثاليَّة الموحدة ، وإنَّما كانوا يعبِّرون بلهجاتهم الخاصَّة ، وتظهر على تعابيرهم صفاتُ لهجاتهم وخصائصُ ألحانهم .[3]

ويشير الدكتور حسن خميس المَلخ إلى أنَّ اختلافَ اللغاتِ العربيَّة في العصر الجاهلي في بعض الظواهر النحويَّة يدلُّ على وجود مشكلة نحويَّة على مستوى اللسان ، يقول : ((فثبوتُ النون في الأفعال الخمسة رفعاً ونصباً وجزماً لغةٌ ، والمطابقةُ العددية بين الفعل المقدَّم والفاعل المؤخَّر (أكلوني البراغيث) لغةٌ ، والقصرُ في الأسماء الخمسة والأسماءِ المثناة لغةٌ ، وذو الطائيةُ لغةٌ ، وما الحجازيةُ لغةٌ ، وعدمُ حذف حروف العلة في جزم المضارع المعتل الآخر لغةٌ ، و .....إلخ من اللغات الشاذة في النحو العربي ، فلو استعمل شاعرٌ لغةَ (أكلوني البراغيث) أيكون قد ارتكب لحناً في عُرْف اللغة الأخرى ولاسيَّما إذا سمعه من سمعه من لا يعرف لهجتَه (لغته) ؟)).[4]

وقد عرفت اللغة العربيَّة اختلافَ اللهجات منذ العصر الجاهلي ، ومن ذلك : الاختلاف في الحركات : كما في نَستعين ونِستعين ، قال الفراء : هي مفتوحةٌ في لغة قريش ، وأسد وغيرُهم يكسرها ، والاختلاف في الهمز والتليين ، مثل : مستهزئون ومُستهزون ، والاختلاف في التقديم والتأخير ، مثل : صاعقة وصاقعة ، والاختلاف في الحذف و الإثبات ، مثل :استحييت واستحيت ،والاختلاف في التذكير والتأنيث ،مثل: هذه النخلُ ، ومنهم يقول : هذا النخلُ ، والاختلاف في الإعراب ، مثل : ما زيدٌ قائماً ، وما زيدٌ قائمٌ ، والاختلاف في صورة الجمع ، مثل : أسرى وأُسارى ، والاختلاف في الوقف على هاء التأنيث ، مثل : هذه أُمَّهْ ، وهذه أُمَّتْ .[5]

إنَّ رواية الشهر العربي بأوجهٍ مختلفةٍ إنْ دلَّ على شيءٍ فإنَّه يدلُّ على اختلاف اللهجات قديماً ، هذا الاختلاف على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي كان له الدور الأكبر في اختلاف الرواية الشعرية ؛ فكثيراً ما كانت

---

[1]: ينظر : اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى (دراسة لغوية) ، د. محمد شفيع الدين ، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية ، المجلد الرابع ، 2007م، ص77-78.

[2]:يُنظر: اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث ، سمر روحي الفيصل ، اتحاد كتاب العرب ، ص 26.

[3]: يُنظر : دراسات في فقه اللغة ، د: صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط 1 ، 1960 م ، ص60

[4]: التفكير العلمي في النحو العربي ، د. حسن خميس الملخ ، دار الشروق للنشر ، ص 58

[5]: ينظر : المزهر في علوم اللغة ، السيوطي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ج 1 ، ص255

الأبيات تُروى بأكثر من وجهٍ ، ويقع الاختلاف بين تلك الروايات في لفظةٍ ما أو في الضبط الإعرابي وغير ذلك ، وهذه ظاهرةٌ موجودةٌ في جميع كتب النحاة ، يقول ابن هشام : ((كانت العرب يُنشد بعضُهم شعرَ بعضٍ ، وكلٌّ يتكلم على مقتضى سجيَّته التي فُطر عليها ، ومن ههنا كثُرت الروايات في بعض الأبيات)).[1]

يُفهم من قول ابن هشام أنَّ الشاعر كان ينشد بمقتضى سجيَّته التي فُطر عليها ، فهذا يعني أنَّ الشعر كان يتضمَّن الخصائص الصوتيَّة للهجة كلِّ قبيلةٍ ، ونأخذ مثالاً على ذلك :

قول الشاعر من الطويل : فإمَّا كِرامٌ مُوسِرون لَقيتُهم فحسبي مِنْ ذو عندهم ما كفانيا[2]

ورُوي : فإمَّا كِرامٌ مُوسِرون لَقيتُهم فحسبي مِنْ ذي عندَهم ما كفانيا[3]

فقد جاء البيت على روايتين ؛ الأولى تشير إلى استخدام (ذو) كاسم موصول بمعنى الذي ، وتشير الرواية الثانية إلى أنَّ (ذو) تُعامَل معاملة (ذي) التي بمعنى صاحب والتي من الأسماء الستة ، فتُرفع بالواو وتُنصب بالألف وتُجرُّ بالياء ، أي فهي معربةٌ ، والوجه الراجح عند النحاة هو أن تُستعمل اسم موصول مبني ، وأنَّها تجيء بالواو في حالة الرفع والنصب والجر.[4]

وفي لسان العرب يقول ابن منظور : ((فإنَّ بيت تميم ذو سمِعتَ به))[5]

وهذا الوجه رجَّحه ابن هشام ؛ فلو كانت (ذو) معربةً لقال : فإنَّ بيت تميم ذا سمعت به ، فلمَّا جاء بها بالواو تبيَّن أنَّها مبنيَّةٌ .[6]

وذكر أبو منصور أنَّ رواية (ذو) هي لغة طيء .[7]

وفي قول الشاعر : فزججتُها بمِزَجَّةٍ زجَّ القَلوصَ أبي مزادَه [8]

فصل بين المضاف والمضاف إليه (بالقَلوص) ؛ أي بغير الظرف والجار والمجرور .

يقول الفراء : ((وليس قولُ من قال ..... : فزججتُها متمكِّناً زجَّ القَلوصَ أبي مزاده بشيءٍ. وهذا ما كان يقوله نَحْويُّو أهل الحجاز ، ولم نجد مثله في العربيَّة)) .[9]

وهكذا نرى أنَّ حضور اللهجات في الأبيات الشعرية يتجلَّى من خلال تعدُّد رواية البيت الشعري ، ولكن في الحقيقة يصعب على الباحث أحياناً الكشف عن هذا الحضور؛ ذلك أنَّ الشعر وصل إلينا بصورته الأخيرة باللغة الفصحى التي تمَّ الاتفاق عليها ، فلا يبقى أمام الباحث إلَّا الرجوعُ إلى التخريجات التي قام بها العلماء في كتبهم لمعرفة

---

[1]: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي ، ج 1 ، ص261

[2] : البيت من شواهد شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، دار التراث ، القاهرة ، 1980م ، 45/1، منسوب إلى منظور بن سحيم الفقعسي

[3] : ينظر : المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية ، بدر الدين العيني ، تح : أ. د. علي محمد فاخر و أ . د. أحمد السوداني و د. عبد العزيز فاخر ، دار السلام ، ط1 ، 2010 م ، ج1 ، ص186

[4] : ينظر : شرح ابن عقيل ، ابن عقيل ، ج1 ، ص47

[5] : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ج 1 ، ص44

[6] : ينظر : المصدر السابق ، ص43

[7] : ينظر : شرح ابن عقيل ، ابن عقيل ، ج1 ، ص48في الهامش

[8] : البيت من شواهد الإنصاف في مسائل الخلاف ، ابن الأنباري ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الفكر ، دون نسبة ، ص347

[9] : معاني القرآن ، الفراء ، تح: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار ، ط 3 ، 1983م، ج1 ، ص358

اللهجة التي رُوي فيها هذا البيت أو ذاك ، أو من خلال الرجوع إلى أصحاب الدواوين الشعرية ونسب الشاعر .

ثانياً : العلاقة بين مصطلح اللهجة ومصطلح اللغة :

من المُلاحَظ أنَّ النحاة القدامى لم يستخدموا مصطلح (لهجة) أثناء التعبير عن الاختلافات بين القبائل ، وإنَّما استخدموا مصطلح (لغة) ، فقالوا : لغة الحجاز ، لغة قريش ، لغة تميم ، لغة أسد ، إلخ ..... ، وهم يعنون بذلك اللهجةَ ، واستخدموا في بعض الأحيان مصطلحَ اللحن .[1]

وبالعودة إلى تعريف كلٍّ من اللُّغة واللَّهجة في المعاجم :

اللغةُ لغةً : جاء في لسان العرب : ((واللُّغةُ : اللِّسْنُ ، وحدُّها أنَّها أصواتٌ يعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم ، وهي فُعلةٌ من لَغَوتُ أي تكلَّمتُ ، أصلُها لُغْوَة ككُرةٍ وقُلَّةٍ وثُبَةٍ ، كلُّها لاماتها واوات ، وقيل : أصلها لُغَيٌّ أو لُغَوٌ ، والهاء عوض ، وجمعُها لغىً مثل برة وبُرىً ، وفي المحكم : الجمع لغات ولغون)) .[2]

اللغة اصطلاحاً: هي : ((ظاهرةٌ بسكولوجيَّةٌ ، اجتماعيَّةٌ ، ثقافيَّةٌ مكتسَبةٌ ، لا صفةٌ بيولوجيةٌ ملازمةٌ للفرد ، تتألف من مجموعة رموزٍ صوتيَّةٍ لغويَّةٍ ، اكتسبت عن طريق الاختبار معاني مقررةً في الذهن ، وبهذا النظام الرمزيِّ الصوتيِّ تستطيع جماعةٌ ما أن تتفاهم وتتفاعل)) .[3]

اللهجة لغةً : جاء في لسان العرب : ((لَهِجَ بالأمر لهَجَا ، ولهْوَجَ ، وأَلهجَ كلاهما : أُولعَ به واعتاده ..... واللَّهجةُ واللّهَجَةُ : طَرفُ اللسان ، واللَّهْجةُ واللَّهَجَةُ : جَرْسُ الكلام ، والفتح أعلى . ويقال : فلانٌ فصيح اللَّهْجةِ واللَّهَجةِ، وهي لغتُه التي جُبلَ عليها فاعتادها ونشأَ عليها)).[4]

اللهجة اصطلاحاً : هي : ((طائفةٌ من المميزات اللّغويَّة ذاتُ نظام صوتيٍّ خاصٍّ ، تنتمي إلى بيئة خاصَّة، ويشترك في هذه المميِّزات جميعُ أفراد تلك البيئة ، وهذه البيئة قسمٌ من بيئة أعمَّ وأشملَ تنتظم لهجاتٍ عدة ، وهي متميزةٌ الواحدةُ عن الأخرى بظواهرها اللغويَّة ، ولكنَّها تأتلف فيما بينها بظواهرَ لغويَّةٍ أخرى تيسِّر اتصال أفراد هذه البيئات بعضِهم ببعض)).[5] فمن الناحية اللغويَّة يوجد تشابهٌ كبيرٌ ،والاختلافُ الاصطلاحي هو أنَّ اللغةَ ظاهرةٌ عامةٌ مؤلَّفةٌ من رموزٍ صوتيَّةٍ ، واللَّهجة عبارةٌ عن مميزات (خصائص) ذاتِ نظام صوتي.

ويشير الدكتور رمضان عبد التواب إلى الخلط الفاحش بين هذين المصطلحين عند اللغويين العرب، يقول : ((ولم تكن العلاقة بين اللغة واللهجة واضحةً في أذهان اللغويين العرب ، ولذلك نجد بعضَهم يخلط بينهما خلطاً فاحشاً، ويعدُّ اللهجاتِ العربيةَ لغاتٍ مختلفةً ، وكلُّها حُجَّةٌ ، ومع ذلك فإنَّهم لم يرووا لنا من هذه اللهجات ، إلاَّ مقتطفاتٍ مبتورةً)). [6]

ويذهب الدكتور رمضان عبد التواب أيضاً إلى أنَّ التوحُّد بين اللهجات بشكل جعلها لغةً مشتركةً ، وليس القرآن ،يقول :((وقد ازدادت هذه اللغة نمواً وازدهاراً ، بنزول القرآن الكريم بها ، ولسنا نوافق القائلين بأنَّ نزول القرآن هو الذي

---

[1]: ينظر ، فقه اللغة مناهله ومسائله ، محمد أسعد النادري ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ص 15

[2]: :لسان العرب ،ابن منظور ، مادة لغا

[3]: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، د. إيميل يعقوب وآخران، ط 1 ،بيروت ،دار العلم للملايين ، 1987 م ، ص334

[4]: لسان العرب . ابن منظور ، مادة لهج

[5]: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، د. غالب فاضل المطلبي ، وزارة الثقافة ، الجمهورية العراقية ، 1978 م، ص29

[6]: فصول في فقه العربية ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 6 ، 1999،ص73

وحَّد العربيَّة ، وأوجد اللغة المشتركة ، لأنَّ هذه اللغة نمت وازدهرت ــ كما قلنا ــ قبل نزول القرآن الكريم بها،ولذا تخيَّرها القرآن ونزل بها؛ليفهمَه جميعُ الناس في شتَّى القبائل العربيَّة)).[1]

إذاً كانت هناك لهجةٌ ولغةٌ ، ومن ناحية العلاقة بينهما تبقى هذه العلاقة متمثِّلةً في علاقة الجزء بالكلِّ ، ولكنَّ الترادف الذي وجدناه عند النحاة بين مصطلح اللهجة واللغة والذي **دلَّت** عليه العبارات التي جاءت في كتبهم،مثل : (لغةُ تميم) ، (لغةُ قريش) ، (لغةُ هذيل) جعل التمايز بين المفهومين شبه غائب .

إنَّ العلاقة بين اللغة واللهجة لم تكن واضحةً عند العلماء القدماء ؛إذ إنَّهم لم يستخدموا مصطلح اللَّهجة للتعبير عن الاختلافات بين القبائل العربية ، وإنَّما استخدموا مصطلح اللُّغة ، فقالوا : لغةَ الحجاز ، لغةَ تميم ، لغةَ أسد ، إلخ ..... ، وهم يعنون بذلك اللَّهجة، واستخدموا في بعض الأحيان مصطلح اللحن .[2]

أمَّا العلاقةُ بين اللَّهجة واللُّغة عند المُحدَثين فهي: ((العلاقةُ بين العام والخاص ، فاللُّغة تشتمل عادةً على عدة لهجات ، لكلٍّ منها ما يميزها، وجميعُ هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغويَّة والعادات الكلاميَّة التي تؤلف لغةً مستقلةً عن غيرها من اللغات)).[3]

ومهما يكن الأمرُ؛ فإنَّ العصر الجاهلي وعصرَ الإسلام كانا مرحلة الاختلاف بين اللَّهجات نفسِها ؛ذلك أنَّ المرجعيَّة كانت غائبةً ، فكلُّ لهجةٍ كان لها استقلالُها الخاصُّ ، وتشكِّل مرجعيَّةً لذاتها ، وعندما دُوِّنت اللغة ، وأصبح اهتمام النحاة منصباً على اللغة الموحدة أصبحت تلك اللغةُ الموحدة فيصلاً يتمُّ الاحتكام إليه لمعرفة صحة اللَّهجة (اللغة) .

ثالثاً : العلاقة بين اللهجات واللغة الأدبية (الفصحى):

أشار ابن جني إلى أنَّه لا يوجد اختلافٌ بين اللغة الأدبيَّة ولغةِ التخاطب اليومي (اللهجات) ؛فقد أشار في كتابه الخصائص عدم وجود هذا الاختلاف؛فالاختلافات اللهجيَّةُ تكمن في الفروع، يقول : ((هذا القدر من الخلاف لقلَّته ونزارته مُحتقَر غيرُ مُحتَفلٍ به ولا معيج عليه ، وإنَّما هو في شيء من الفروع يسير ، فأمَّا الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلافَ فيه)).[4]

فابن جني يشير إلى أنَّ الاختلافات بين اللَّهجات يكمن في الفروع لا الأصول، ولكنَّ الدكتور إبراهيم أنيس أشار إلى أنَّ اللُّغة المشتركة هي اللُّغة الخاصَّة ، يقول : ((ولذلك لم يتقنْها إلا الخاصَّةُ من العرب ، وهي وإنْ كانت مفهومةً لعامة العرب، يسمعون لها في شوقٍ وإعجابٍ ، غير أنَّها لم تكن في متناول جمهور الناس وعامتهم ، ولذلك كانوا يرون إجادتها مما يرقى بالمرء إلى المركز المرموق بين أهله وعشيرته)).[5]

إنَّ الاختلاف–**كما أشار الدكتور عبد الغفار حامد هلال** – كان واضحاً في الجزيرة العربية نتيجة الاتصال واللقاءات في التجارة والأسواق ، وهم وإنْ كانوا في هذه الأسواق يستخدمون الفصحى ، إلاَّ أنَّ لهجاتِهم التي كانت تتسرب إلى منطقتهم في بعض الأحيان ، وكانوا يتكلمون بها في شؤونهم الخاصَّة ، وإنَّ اختلاف البيئات الناتج عن

---

[1]: فصول في فقه العربية ، د. رمضان عبد التواب ، ص 79

[2]: ينظر : فقه اللغة مناهله ومسائله ، محمد أسعد النادري ، ص 15

[3]: اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس ،دار الفكر العربي ، مطبعة الرسالة ، ص 11

[4]: الخصائص ، ابن جني ، تح:محمد علي النجار ،المكتبة العلمية،دار الكتب المصرية، ج1 ، ص244

[5]: مستقبل اللغة العربية المشتركة ، د. إبراهيم أنيس ، معهد الدراسات العربية ، 1960م ، ص9

اتساع جزيرة العرب أدَّى إلى نشأة اللهجات والتصارع فيما بينها ، حتى أدَّى ذلك إلى سيادة لغة عامة بين العرب ، ولم يكن الخلاف جوهرياً بين اللهجات العربية للصلة القائمة بين العرب .[1]

وأشار الجاحظ إلى أنَّ الأعراب الذين عاشوا في قلب شبه الجزيرة العربية هم الأحسن في الاستعمال الأمثل للغة على المستوى النحوي والصرفي والدلالي ؛ ذلك أنَّ بيئتَهم كانت بعيدةً كلَّ البعد عن الأعاجم ، يقول : ((لأنَّ تلك اللغة إنَّما انقادت واستوت ، واطَّردت وتكاملت بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة)).[2]

ثم يقول في موضع آخر : ((إنَّه ليس في الأرض كلامٌ هو أمتع ، ولا آنقُ ، ولا ألذُّ في الأسماع ، ولا أشدُّ اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا أفتقُ للسان ، ولا أجودُ تقويماً للبيان من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء)).[3]

وانطلاقاً مما سبق نقف أمام السؤال التالي : هل كان هناك في الحقيقة لغةٌ فصيحةٌ ولهجاتٌ في الجاهليَّة والإسلام وصدرِه ؟يروي ابن الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث : ((قال علي بن أبي طالب للرسول ــ وسمعه يخاطب وفد بني نَهْد ــ : يا رسولَ الله نحن بنو أبٍ واحدٍ ، ونراك تكلِّم وفودَ العرب بما لا نفهم أكثرَه ، فقال : أدَّبني ربِّي فأحسن تأديبي ورَبيتُ في بني سعد ، فكان الرسول ﷺ يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم ، كلاً منهم بما يفهمون ، ويحادثهم بما يعلمون ، ولهذا قال ـ صدق الله قوله ــ : أُمِرتُ أن أخاطبَ الناس على قدر عقولهم)).[4]

لذلك يمكن القول : إنَّ اللغة الفصيحة كمصطلحٍ مُستعمَل لم يكن في العصور القديمة ، ويذهب بعض الدارسين إلى أنَّ الفترة التي سبقت نزول القرآن كانت فترةً لتعايش اللهجات ، ويشير الدكتور أحمد علم الدين الجندي إلى هذا التعايش بين اللهجات قبل الإسلام ، فيقول : ((ولهذا آثرتُ أن أدرسَ لهجاتِ القبائلِ لا عن طريق هذه الوحدات القبلية المنعزلة عن بعضها كلهجة الحجاز وهُذيل وقيس ،وفصلِ كلِّ لهجة عن الأخرى في الدرس والبحث ، بل درستها على مستوى الظواهر اللهجيَّة ، تلك التي تجمع بين قبائلَ عدة ، ما داموا يشتركون في الظاهرة ، وهذا منهجٌ يؤمن بالأخذ والعطاء والتأثير والتأثر بين القبائل أولاً ، ثم يؤمن بوحدة الجنس العربي في الجزيرة ثانياً)).[5]

إنّ السؤال الذي يتمثَّل أمامَنا : هل كانت اللغة العربيَّة عبارةً عن لهجاتٍ مختلفةٍ ، ثم توحّدت بعد ذلك وأصبحت لغةً مشتركةً ؟! وهذا يمكن التوصل إليه من خلال الدراسات القديمة والحديثة التي تناولت أصل الفصحى المشتركة؛ فكما هو معلوم أنَّ نظرية القدماء تأسَّست على أنَّ العربيَّة الفصيحة هي لغة قريش ، وهي اللغة التي نزل بها القرآن انطلاقاً من عواملَ سياسيَّةٍ واقتصاديَّةٍ ودينيَّةٍ ولغويَّةٍ أتاحت لها التفوق على باقي اللهجات ، وجاءت كتب القدماء مليئةً بالأقوال التي عبَّرت عن التفوُّق اللغوي للهجة قريش ، كما جاءت بعض أقوال المُحدثين مؤيِّدةً لتلك الأقوال ، نذكر منها على سبيل المثال : **قول الفارابي** : ((وكانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً وإبانةً عمَّا في النفس)).[6]

---

[1]: ينظر : اللهجات العربية نشأة وتطورا ، عبد الغفار حامد هلال ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998م ،ص77

[2] : البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح: عبد السلام هارون ، ج 1 ، ص163

[3] : المصدر السابق ، ص145

[4]: النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، دار ابن الجوزي ، ط 1 ، ص10

[5]: اللهجات العربية في التراث ، د. أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، ج 1 ، ص79

[6] : الاقتراح في أصول النحو ، السيوطي ،ضبطه وعلق عليه :عبد الحكيم عطية ،دار البيروتي، 2006 م ، ص47

يقول ابن خلدون : ((ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربيَّة وأصرحَها ؛ لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم)).[1]

وجاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة (عرب) : ((وقال قتادة : كانت قريش تجتبي ، أي تختار أفضل لغات العرب ، حتى صار أفضلُ لغاتِها لغتَها، فنزل القرآن بها)).[2]

وهناك أقوالٌ كثيرةٌ وقع فيها الإقرار على أنَّ لغة قريش هي اللغة الفصحى ولغة القرآن ، ولقد كانت تلك القضيَّة من القضايا المهمَّة التي تناولها المحدثون في دراساتهم ، وذهب فريقٌ منهم إلى تأييد نظرية القدماء ، ومن هؤلاء : **الدكتور طه حسين** الذي تناول في كتابه (**في الأدب الجاهلي**) أصل الفصحى ، فراح يبحث عن البيئة التي علا شأنُها السياسيُّ والاقتصاديُّ ، ففرضت سيادة لغتها على غيرها ، ويصل إلى هدفه ، وهو إظهار السيادة لقريش ، **وينتهي إلى القول** : ((لغة قريش إذن هي هذه العربية الفصحى ، فرضت على قبائل الحجاز فرضاً لا يعتمد على السيف ، وإنَّما يعتمد على المنفعة وتبادلِ الحاجات الدينيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة)).[3]

وسار في هذا الاتجاه أيضاً **الدكتور شوقي ضيف** ، يقول : ((وإذن فنحن لا نعدو الواقع إذا قلنا إنَّ لهجة قريش هي الفصحى التي عمَّت وسادت في الجاهلية)) .[4]

في حين ذهب بعض المحدثين إلى أنَّ الفصحى ليست لغة قريش ، **ومنهم الدكتور تمام حسان** الذي أشار في كتابه الأصول إلى أنَّه لايمكن اعتبار لغة قريش هي الفصحى ؛ ذلك أنَّ القرآن الكريم نزل بلسانٍ عربيٍّ ، ولم ينزل بلسانٍ قرشي وأنَّ أكثر القراءات القرآنية تشتمل على ظواهرَ لغويَّةٍ لم تشتمل عليها لهجة قريش ، وأنَّ تحقيق الهمز في الفصحى ظاهرةٌ شائعةٌ، وتلك الظاهرة ليست في لهجة قريش ، وأنَّ النصوص الجاهلية لم ينسبها الرواة إلى قريش ؛ فلم يُسمع عن شاعرٍ جاهليٍّ قرشي فحل .[5]

ويسير الدكتور عبده الراجحي في مثل هذا الاتجاه أيضاً؛ فأشار إلى أنَّهم أخطأوا في قول الرسول ﷺ : (أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنِّي من قريش)، فأخطأوا في معنى (بيد) ، وذهبوا إلى أنَّها تعني (من أجل) ، وفي الحقيقة تعني (غير أنَّ) .[6]

إنَّني أرى أنَّه لا خلافَ عند القول : إنَّ اللغة المشتركة تأسَّست على لهجة قريش ، وإنَّ القرآن الكريم قد خصَّها بعناية أكثرَ ، والدليلُ حضور اسمِ قريش في آيات القرآن الكريم ، ولكنَّ الوصول إلى أنَّ أصل الفصحى هو لهجةٌ معيَّنةٌ لا يتمُّ بشكلٍ مثبتٍ إلاَّ إذا استطعنا إثبات وجودِ لغةٍ مشتركةٍ قبل الإسلام ، كان العرب يستخدمونها في المواقف الرسميَّة ، وهذه اللغة نمت في بيئةٍ معيَّنةٍ ، وحملت لواءَها قبيلةٌ معيَّنةٌ ، وعلى افتراض أنَّ تلك البيئة كانت الحجاز ، وتلك القبيلة كانت قريش ـ كما هو مقرر في كتب المؤيِّدين ـ عند ذلك لا مانع من أن تقوم هذه القبيلة بالمحافظة على لغتها وتوسيعها وتهذيبها ، وهذا العمل يتمُّ عن طريق الاحتكاك والتعامل مع القبائل الأخرى ، وكما هو واردٌ ومعلومٌ أنَّ قريشَ كانت تنتقي وتختار ، لذلك أصبحت لغتها الجديدة مزيجاً من لهجات القبائل ، لذلك **يمكن أن أصلَ إلى القول** : إنَّ قريش بحكم قوتها الدينيَّة والاقتصاديَّة والتجاريَّة كانت الحجر الأساس لتأسيس اللغة المشتركة ، ولكنَّها

---

(1) : مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ، تح : عبد الله محمد الدرويش ، ط 1 ، 2004م ، ج2 ، ص378

(2) : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (عرب) ،

(3) : في الأدب الجاهلي ، طه حسين ، طبع في القاهرة ، مطبعة فاروق ، ص 108

(4) : تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ، ج1 ، دار المعارف ، ط1 ، ص134

(5) : ينظر : الأصول ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، أميرة للطباعة ، ص 72-73

(6) : ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د. عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية ، 1996م ، ص84

قامت بتطوير لغتها وتهذيبها عندما احتكَّت بالقبائل الأخرى ، فنشأت لغةٌ جديدةٌ تختلف عن لهجتها الخاصَّة ، تلك اللغة الجديدة شاملةٌ لظواهرَ لغويةٍ في اللهجات الأخرى ، ونزل القرآن بهذه اللغة الجديدة ، والدليل على ذلك هو اختلاف القراءات القرآنية .

رابعاً : منهج القدماء في التعامل مع اللهجات :

إنَّ توجُّه النحاة إلى لغة القرآن منعهم من التتبع الدقيق لأمر اللهجات، واحتلَّت لغة قريش الصدارة عندهم، في حين لم تحظَ اللهجات الأخرى بتلك العناية الكبيرة ، وعند التدوين أخذوا يطلقون الأحكام التقويميّة؛ فينسبون الفصاحة إلى بعض القبائل دون غيرها ، في حين تدخل بعض لهجات القبائل في سُلَّم انتقاداتهم ، فيصفونها بالرداءة ، كما نجد **عند ابن فارس في كتابه (الصاحبي)**؛ إذ يخصص باباً للحديث عن اللغات المذمومة ، عنوانُه : (باب اللغات المذمومة) ، يقول ابن فارس في سياق حديثه عن عنعنة تميم : ((أمَّا العنعنة التي تُذكر عن تميم فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينا ، يقولون : (سمعت عَنَّ فلانا قال كذا) ، يريدون (أنَّ) .[1]

وبالنظر إلى كتاب سيبويه يكاد أن يتضح لنا منهج القدماء بشكلٍ أكثر ؛ ذلك أنَّنا نلمح في الكتاب الكثير من الشواهد المسبوقة بعباراتٍ تشير في ظاهرها إلى أنَّها لا تنتسب إلى لهجةٍ ما ، ومثلُ هذه العبارات قول سيبويه : ((سمعت ممَّن أثق به من العرب ، وقد قال قومٌ من العرب تُرضى عربيتُهم ، نحو قولهم)).[2]

فهذه العبارات تتواجد بكثرةٍ في الكتاب دون نسبتها إلى القبيلة التي صدرت عنها في حين نجده في مواضعَ قليلةٍ ينسب اللهجة إلى قبيلتها ، مع العلم بأنَّ لهجة تميم ولهجة الحجاز هما اللهجتان اللتان أخذتا حظَّاً أوفر من غيرهما من ناحية الحضور والتصريح المباشر ؛ ففي باب (هذا باب يُختار فيه أن تكون المصادر مبتدأة مبنيَّاً عليها ما بعدها وما أشبه المصادر من الأسماء والصفات) ، يقول سيبويه : ((وذلك قولك : الحمدُ لله ، والعجبُ لك ، والويلُ لك .....وإنَّما استحبُّوا الرفع ؛ لأنَّه صار معرفةً ، وهو خبرٌ ، فقوى في الابتداء ، .....ومن العرب من ينصب بالألف واللام ، من ذلك قولك : الحمدَ لله ، فينصبها عامَّةُ بني تميم وناسٌ من العرب كثيرٌ)).[3]

والأمثلة على ذلك كثيرةٌ في الكتاب، فسيبويه كان يصرِّح أحياناً بنسبة اللهجة إلى أصحابها، وأحياناً لم يصرِّح .

كما نلحظ عنده ظاهرة الترجيح بين اللهجات ؛ ففي باب (هذا باب الإضمار في ليس وكان كالإضمار في إن يقول سيبويه : ((وقال مزاحم العُقيلي : وقالوا تعرَفْها المنازلَ* من مِنىً وما كلَّ مَنْ وافى مِنىً أنا عارفُ

وقال بعضُهم : وما كلٌّ من وافى مِنىً أنا عارفُ ، لَزِم اللغة الحجازيَّة فرفع ، كأنَّه قال ليس عبدُ الله أنا عارفُ، فأضمرَ الهاء في عارف ، وكان الوجه عارفه ، حيث لم يُعمَل عارف في كلٍّ ، وما كان هذا أحسن من التقديم والتأخير؛ لأنَّهم قد يَدَعون هذه الهاء في كلامهم وفي الشعر كثيراً ، وذلك ليس في شيءٍ من كلامهم ولا يكاد يكون في شعرٍ)). [4]

---

[1] : الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس ، تعليق أحمد حسن بسبح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997م ، ص29

[2] : الكتاب ، سيبويه ، ج1 ، ص230 -182 -234

[3] : المصدر السابق ، ج1 ، ص329

*** هكذا وردت في المصدر**

[4] : الكتاب ، سيبويه ، تح : عبد السلام هارون ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،1988م، ص .....

فسيبويه رجَّح اللغة الحجازيَّة (ما كلٌ) على اللغة التميميَّة (ما كلَّ) ؛ ففي اللغة الحجازيَّة رُفعت (كل) على أنَّها اسم (ما) العاملة عمل ليس ، والخبر هو جملة (أنا عارف)، أمَّا في اللغة التميميَّة فتكون (كل) منصوبةً على أنَّها مفعولٌ به لِـ (عارف)، والعلَّة في هذا الترجيح هي أنَّ عدم إعمال (عارف) أحسن من التقديم والتأخير في اللغة التميميَّة.

إنَّ ترجيح سيبويه لم يكن مبنيَّاً على قوَّة القياس ،وإنَّما على اليسر والسهولة في اللغة الحجازيَّة ؛ ذلك أنَّه قال: وهذا أحسن من التقديم والتأخير، فالغاية عنده ربَّما تكون الابتعاد عن التعقيد .

وهكذا نرى أنَّ منهج سيبويه في تعامله مع اللهجات لم يكن مبنيَّاً على ضرورة التصريح المباشر بنسبة القول أو الشاهد إلى القبيلة التي نطقت به ، إنَّما نجد هذا المنهج مطبَّقاً في مواضعَ قليلةٍ من الكتاب ، هذه النُقطة لم يرضَ عنها المُحدَثون ، وسنتناول لاحقاً ما جاءت به الدراسات الحديثة فيما يخصُّ هذه الظاهرة (ظاهرة عدم التصنيف المنهجي للهجات).

إنَّ المنهج الذي اتبعه النحاة في تقسيم القبائل إلى فصيحة وأخرى غير فصيحة نتجت عنه مصطلحاتٌ تشير إلى موازناتٍ كانوا يقيمونها بين اللهجات ، فنجد في كتبهم مثلاً : لغةً رديئةً و لغةً جيدةً و لغةً فصيحةً و لغةً أقيسَ من غيرها ..... إلخ ، مع العلم بأنَّ الحكم على اللهجة بتلك الأوصاف السابقة يتحكَّم به قربُ هذه اللهجة من لغة القرآن الكريم أو لغة قريش أو بُعدُها، وقد أشار المبرِّد إلى هذا المنهج بقوله : ((وكلُّ عربيٍّ لم تتغير لغتُه فصيحٌ على مذهب قومه ، وإنَّما يُقال : بنو فلانٍ أفصحُ من بني فلان ، أي أشبهُ لغةً بلغة القرآن ولغةِ قريش ، على أنَّ القرآن نزل بكلِّ لغات العرب)) .[1]

ولم يخلُ كتاب سيبويه من استخدام مصطلح (اللغة الرديئة) في أكثر من موضع ؛ ففي باب (هذا باب ما يكون من الأسماء صفة مفرداً) **يقول سيبويه** : ((وتقول : مررت بعبد الله خيرٌ منه أبوه ، فكذلك هذا وما أشبهه ، ومن أجرى هذا على الأوَّل فإنَّه ينبغي له أن ينصبه في المعرفة ، فيقول : مررت بعبد الله خيراً منه أبوه ، وهي لغةٌ رديئةٌ)).[2]

وفي باب (هذا باب الشيئين اللذين ضُمَّ أحدهما إلى الآخر فجُعلا بمنزلة اسمٍ واحدٍ) يقول سيبويه : ((ومن العرب من يقول : خمسةَ عَشَرُك ، وهي لغةٌ رديئةٌ)).[3]

ونلمح هذا المصطلح أيضاً عند المبرِّد ؛ ففي باب (الإخبار في باب الفعلين المعطوف أحدهما على الآخر) يقول المبرِّد : ((وقال آخرون : تقول : الضاربُ أنا والضاربي زيد ، فلا تذكر في الضارب شيئاً ، فيُقال لهم إنْ لم تريدوا الهاء فالكلامُ مُحالٌ ؛ لأنَّه لا يرجع إلى الألف واللام اللتين في معنى الذي شيءٌ ، فيقولون : نريدها ، ونحن نحذفها ، ولا اختلاف في أنَّ حذفها من صلة الألف واللام رديءٌ جداً)).[4]

لذلك يمكن القول : إنَّ الأحكام التي أُطلقت على اللهجات من قبل القدماء موجودةٌ في بطون كتبهم بشكلٍ واضحٍ ولكنَّ هذا الأمر كان ينقصه في بعض الأحيان الإقرار المباشر باسم اللهجة .

---

[1]: الفاضل ، أبو العباس المبرد ، تح : عبد العزيز الميمني ،ط2 ، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ص113

[2] : الكتاب ، سيبويه ، ج2 ، ص34

[3] : المصدر السابق ، ج3 ، ص299

[4] : المقتضب ، أبو العباس المبرد، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ج 1 ، 1994م ، ص115

ومهما يكن الأمر فإنَّ الأساس الذي وُضع للأخذ عن العرب كان مختلفاً عند كلٍّ من البصريين والكوفيين ؛ ذلك أنَّ البصريين حدَّدوا قبائل معينةً يصحُّ الأخذ عنها ، وامتنعوا عن الأخذ عن قبائل أخرى ، ويبقى الهدف الذي سعى إليه النحاة هو التقعيد ، فوجدوا كمَّاً هائلاً من اللهجات ، فحدَّدوا قبائل معينة يصحُّ الاستشهاد بكلامها واستبعدوا الأخرى.

وعندما جاء القرن الرابع الهجري أجاز بعض العلماء التوسُّع في الأخذ عن لهجات القبائل ؛فابن جني في كتابه الخصائص عقد باباً سمَّاه : (اختلافُ اللغات وكلُّها حُجَّةٌ)؛فقد أشار إلى موازناتٍ بين لهجات القبائل ، فهناك لهجاتٌ ضعيفةٌ لكنَّها مقبولةٌ،و هناك لهجةٌ أكثرُ شيوعاً واستعمالاً، و جميعُ هذه اللهجات يصلح للاحتجاج ، يقول : ((إلَّا أنَّ إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب ، لكنَّه يكون مخطئاً لأجود اللغتين ، فأمَّا إنْ احتاج إلى ذلك في شعرٍ أو سجعٍ فإنَّه مقبولٌ منه غيرُ منعيٍّ عليه)).[1]

ويتضح منهج ابن جني في التعامل مع اللهجات من خلال مايلي:

1)القبول للهجتين الموافقتين للقياس، كما في لغتي الحجازيين والتميميين في (ما) ، يقول ابن جني : ((ألا ترى أنَّ لغة التميميين في ترك إعمال (ما) يقبلُها القياس ،ولغةَ الحجازيين في إعمالها كذلك ؛لأنَّ لكلٍّ واحدٍ من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ، ويخلد إلى مثله)).[2]

2)الأخذ باللهجة الأكثر استعمالاً والأقوى قياساً ، يقول : ((فأمَّا أن تقلَّ إحداهما جداً ، وتكثر الأخرى جداً ، فإنَّك تأخذ بأوسعهما روايةً ، وأقواهما قياساً)).[3]

3)اللهجة الضعيفة مقبولةٌ عنده في الشعر والسجع، وليست مرفوضةً ، وهي مقبولةُ الاستعمال عنده .[4]

وأشار ابن جني إلى ضرورة التمييز للظاهرة اللغوية المسموعة من العرب والرواة، وهذه نقطةٌ مهمَّةٌ أشار إليها في منهجه ، يقول: ((فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابنُ أبي إسحاق ويونس وعيسى بنُ عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلفُ الأحمر والأصمعي ومن في الطبقة وعلماء البلدين وجوهَ العرب فيما تتعاطاه من كلامها ، وتقصد له من أغراضها ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ، ولا تضبطه الروايات ، فتضطرَ إلى قصود العرب وغوامض ما في أنفسها، وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه، غير مهتم الرأي والعقل)).[5]

موقف المُحدَثين :

لقد وقع منهج النحاة القدماء في تعاملهم مع اللهجات في سُلَّم انتقادات المحدثين ، شأنه في ذلك شأن المسائل الأخرى التي اعترض عليها المحدثون ، ونظروا إليها فوجدوها لا ترقى إلى طموحاتهم ، فجاءت معظم الانتقادات والتوجيهات بشكلٍ يجعلها تقترب من بعضها ، فالنقدُ واحدٌ ، وإن اختلفت طريقةُ توجيهه لصنيع النحاة ، فمنهم من حاول أن يقدِّم تفسيراً ، ومنهم من توجَّه بالنقد المباشر ، ومنهم من حاول أنْ يبيِّن منهج النحاة في التعامل فقط ، وسنتناول بالتفصيل كلَّ ما جاء حول ذلك .

---

[1]: الخصائص ، ابن جني ، ج2 ، ص10

[2]: المصدر السابق ، ج2 ، ص10

[3]: نفسه ، ص10

[4]: ينظر: نفسه ، ص12

[5]: نفسه ، ج1 ، ص248

اللَّهجة من وجهة نظر المحدثين هي مجموعةٌ من الصفات اللغويَّة تنتمي إلى بيئةٍ خاصَّةٍ ، ويشترك في هذه الصفات جميعُ أفراد هذه البيئة ، وبيئةُ اللهجة هي جزء من بيئة أوسعَ وأشملَ ، تضمُّ عدة لهجات ، لكلٍّ منها خصائصُها ، وتلك البيئة الشاملة تسمى عند المحدثين باللغة ، والصفات التي تتميز بها كلُّ لغة تسمَّى عندهم بالعادات الكلاميَّة ، وهي عاداتٌ مكتسَبةٌ ، لا أثرَ للوراثة فيها ، وجميعُ الصفات التي تتميز بها اللَّهجة تنحصر في الأصوات وطبيعتها ، وكيفية صدورها ، وبيئةُ اللهجة لها صفاتٌ صوتيّةٌ خاصّةٌ ، تخالف صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة ، وتتميز اللهجة بصفاتٍ قليلةٍ ترجع إلى بيئة الكلمة ، ولكن يُفترض أن تكونَ هذه الصفات الخاصَّةُ بشكلٍ قليلٍ، بحيث لا تجعل اللهجة غريبةً على أخواتها ، وصعبةَ الفهم على أبناء اللهجات الأخرى في نفس اللغة ؛ لأنَّه متى كثُرت هذه الصفات بَعُدت اللهجة عن أخواتها .[1]

ويشير جونستون إلى أنَّ دراسة اللهجات في العصر الحديث بدأت على أيدي المستشرقين ، وكانت معظم أعمالِهم تقوم على جمع المادة ودراستها بطريقةٍ تقليديّةٍ ،وكانت في معظمها تتميز بكثرة الأخطاء ؛ إذ لم تكن الدراسات اللغوية قد تقدَّمت ، أمَّا الآن فإنَّنا نجد في الغرب دراساتٍ متطورةً ، وانطلاقاً من أنَّ اللغويَّ الحديث الذي يدرس اللهجات إنَّما يهمُّه الجانب العلمي من هذه اللهجات ؛ ليجعلَ من دراسته سجلاً وصفيًّا لحال اللغة في بيئة من البيئات وفي عصر من العصور ، فيكون بذلك قد رصد هذه اللغة في فترة من فترات التاريخ اللغوي،انطلق العلماء العرب المُحدَثون يدرسون اللهجات، ولعلَّ الباحثين المصريين أسبقُ الدارسين إلى البحث في اللهجات على أسسٍ علميَّةٍ حديثةٍ ؛ فقد قدَّم كلٌ من الدكتور إبراهيم أنيس سنة 1941م، وعبد الرحمن أيوب سنة 1949م رسائل علميَّةً إلى جامعة لندن وجامعة تكساس .[2] وتشير بعض الدراسات إلى أنَّ أقدم دراسة للهجات في العصر الحديث كانت على يد المرحوم حفنة ناصيف بعنوان (مميزات لغات العرب تخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك) ، وقد ألقاها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في فينا سنة 1886م ، ثم جاءت بعد ذلك دراسة الدكتور إبراهيم أنيس تحت عنوان (اللهجات العربي)،وهي دراسةٌ قيِّمةٌ قدَّم فيها الدكتور إبراهيم كلَّ ما يتعلق بدراسة اللهجات الحديثة وخصائصها .

وقد انطلق هؤلاء العلماء في مشروع دراستهم للهجات القديمة من أنَّ تلك الدراسة لها دورٌ كبير في دراسة اللغة العربية وتاريخها ومراحلِ تطورها.[3]

ويشير بعض المُحدَثين إلى أنَّ المعيار الزمني الذي وضعه القدماء لجمع النصوص طويلٌ ، يبدأ من العصر الجاهلي وينتهي بجزءٍ من العصر العباسي ، ففي تلك الفترة الزمنية كانت اللغة معرَّضةً للتطور على مختلف المستويات الصرفيَّة والصوتيَّة والدلاليَّة ، لذلك كان من المُفترض أن يُكتفى بعصرٍ واحدٍ؛ إذ لكلِّ عصرٍ سماتُه المميزة، وانطلاقاً من ذلك يذهب الدكتور تمام حسان إلى أنَّ منهج النحاة منهجٌ مضطربٌ؛ ذلك أنَّ دراستَهم جاءت شاملةً لمراحلَ متعاقبةٍ من تاريخ العربية ، تبدأ من حوالي **(150)** عاماً قبل الإسلام ، وتنتهي بانتهاء ما يسمونه عصرَ الاحتجاج ، وفي هذه الفترة لا تبقى اللغة على حالها ، بل تتطور من نواحٍ مختلفةٍ ، كما أنَّهم خلطوا بين لهجاتٍ مختلفةٍ ، وحاولوا إيجادَ نحوٍ عامٍّ يجمعها .[1]

---

[1]: ينظر : اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس ، ص 14

[2] : ينظر : دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ، جونستون ، ترجمه وعلق عليه د. أحمد الضبيب ، الدار العربية للموسوعة ، ط 2 ، 1983م ، ص12-16

[3]: ينظر : لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، د. غالب فاضل المطلبي ، ص 32

[1]:ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية ، د. تمام حسان ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1958م ، ص24 ـ 25

يشير الدكتور مصطفى صادق الرافعي إلى أنَّ علماء اللغة قد تعرَّضوا لأمثلة اختلاف اللغات في كتبهم ، إلا أنَّها لم تكن لها قيمةٌ عندهم ، إلاَّ حيث يطلبها الشاهد في الكلام ؛ ذلك أنَّهم لم يعتبروها اعتباراً تاريخيَّاً ، فقد عاصروا أهلها ، واستغنوا بهذه المعاصرة عن توريث تاريخها لمن بعدهم ، فلو أنَّ أحدهم قام بجمع هذه الاختلافات ، ودوَّنها وميَّز أنواعَها بحسب المقاربة والمباعدة ، والنظر في أنساب القبائل التي تتقارب في لهجاتها والتي تتباعد ، لكان عملُه هذا بمثابة علمٍ صحيحٍ في تاريخ اللغة ، يشكِّل مرجعاً مع تقادم الزمن ، ولكنَّهم انصرفوا عن مثل هذا العمل ؛ لاعتقادهم أنَّ اللغة توقيفيَّةٌ ، وأنَّ لهجةَ إسماعيلَ عليه السلام هي أفصح اللهجات ، وهي العربية القديمة الجيدة كما قال سيبويه . [2]

ويوجِّه الدكتور عبده الراجحي نقده للنحاة ؛ ذلك أنَّ كتبَهم لم تقدِّم أكثرَ ممَّا قدَّمت ، يقول : ((أمَّا كتبُ النحو فلسنا نتوقع أن تُقدِّم لنا من اللهجات أكثرَ ممَّا قدَّمت ؛ ذلك أنَّ أصحابها يتناولون اللغة بالتقنين والتنظيم ، وشرطُ اللغة الاطّرادُ ، ولكن لو أنَّهم أعطوا اللَّهجاتِ حقَّها من الدرس لأراحونا من كثيرٍ من تأويلاتهم النحْوية التي تُبعدهم عن الفهم الصحيح للظاهرة اللغويَّة على النحو الذي نعرفه في تخريجهم (إنَّ هذان لساحران) مثلاً)) .[3]

وينظر الدكتور الراجحي إلى كتاب سيبويه ، فيشير إلى حضور بعض اللهجات في كتابه،ولكنَّه يذهب إلى أنَّ لهجاتِ الكتاب تكاد تكون محصورةً في لهجة الحجاز ولهجة تميم ، وهو يطلق أحكاماً على اللهجة دون معرفة الأساس الذي تبنى عليه ، فهو يصف اللهجة مثلا بأنَّها لغةٌ (رديئة) أو (ضعيفة) أو(قليلة خبيثة) ، لكنَّنا نعرف أنَّه عندما يصف اللهجة بالجودة ،إنَّما يفعل ذلك ؛لأنَّها لهجة أهل الحجاز. [4]

ولا أتفق مع ما ذهب إليه الدكتور الراجحي ؛ ذلك أنَّ ليس هناك في الكتاب ما يشير إلى أنَّ لهجاتِه تكاد تنحصر في لهجة الحجاز ولهجة تميم ، فمعظم الأقوال التي وردت في كتاب سيبويه والتي تشير إلى حضور اللهجات فيه هي أقوالٌ عامّةٌ ، لم يصرِّح بانتمائها إلى مصدرها الأصلي ، مثال ذلك قولُه : ((قولُ العرب ، كما قال بعضُ العرب،ومثلُ قولِهم ، وسمعنا من العرب من يقول،كقول بعضهم، وقال بعضُهم،وزعموا أنَّ بعض العرب يقول)).[5]

ومثل هذه الأقوال تسجِّل حضوراً أقوى قياساً بالأقوال التي جاءت عن سيبويه والتي صرَّح بها تصريحاً مباشراً بأنَّها وردت في لغة تميم أو الحجاز .

وينتهي الدكتور عبده الراجحي إلى أنَّ النحاة الذين اهتموا باللهجات اهتماماً كبيراً هم المتأخرون ، مثل : ابنِ مالك والاستراباذي والسيوطي . [6]

ويتوجَّه الدكتور أحمد علم الدين الجندي بالنقد لصنيع النحاة في تعاملهم مع اللهجات ؛ فقد عرض الأحكام النقديَّة التي توجّه بها النحاة للهجات والتي صدرت عن كلٍّ من سيبويه والأخفش والسيرافي وابنِ جني والهمذاني والحريري ، ويعرض لكلٍّ منها مثالاً من كتبهم ، وينتهي إلى القول : ((ونظرةُ هؤلاء الضيّقة لاسيَّما رجالُ البصرة منهم جعلتهم يقيسون هذه اللهجات التي وصفوها بمقياس اللغة الفصحى ، ولهذا حكموا عليها بهذه الأحكام القاسية ، ونعتوها بتلك الأوصاف ، وغاب عنهم أنَّ كلَّ لهجة عربية لها مقاييسُها الخاصَّةُ ومنطقُها الخاصُّ ، كما أنَّ الأصل في

---

[2]: ينظر : تاريخ آداب العرب ، د. مصطفى صادق الرافعي ، راجعه وضبطه عبد الله المنشاوي ، مكتبة الإيمان ،ج 1 ، ص116 ـ 117

[3]: اللهجات العربية في القراءات العربية ، ص 58

[4]:ينظر،المرجع السابق، ص58–59

[5]: الكتاب ، سيبويه ، ج1 ، ص5 ـ17

[6]: ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د. عبده الراجحي ، ص 59

اللهجات هو الرواية والنقل لا القياس والعقل ، ولكنَّهم لجُّوا في القياس ، واتباع التأويلات البعيدة ، والتوجيهات المتكلِّفة)).[1]

ويتابع الدكتور أحمد موضِّحاً رفضَه لتلك الأحكام ، مبيِّناً سببَها ، يقول : ((على أنَّنا نرفض الأحكام القاسية السابقة تلك التي أصدرها النحاة على اللهجات ، ولعلَّ السبب في خلع الأوصاف السابقة اللاذعة على اللهجات أنَّ النحاة ـ وهم أصحاب هذه الأوصاف ــ كانوا أصحابَ معاييرَ ومقاييس ، حاولوا إخضاع اللهجات مع اختلاف مشاربها ومنازعها لها ، فلما فلتت هذه اللهجات من أحكامهم وموازينهم وتقنينهم رموها بما سبق من رداءة ،والمفروض أنَّ أصحاب كلِّ لهجة عربيَّةٍ كانوا يراعون مستوىً صوابيًّاً اجتماعيًّاً عندما يتكلمون .... وعلى أساس هذا المستوى يكون الحكم بالصحة والخطأ)) .[2]

و يشير إلى أنَّ السبب في اضطراب مقياس الخطأ والصواب في أيدي النحاة يرجع إلى الاختلاف في تحديد هذا المقياس ؛ ذلك أنَّ البصْريين حدَّدوا القبائل التي أخذوا عنها، في حين أنَّ الكوفيين وسَّعوا دائرة الأخذ ؛ ولذلك وُجدت تلك الأحكام التي تعبِّر عن رفض اللهجة عند البصريين بشكل أوسع من وجودها عند الكوفيين .[3]

إنَّ ما ذهب إليه الدكتور أحمد من إطلاق الأحكام النقدية على اللهجات لا نراه موجوداً بطريقة مباشرة ؛ ففي كتاب الخصائص لابن جني مثلاً لم نشاهد باباً من الأبواب ، خصَّصه ابنُ جني للغات المذمومة ، ونوافق الدكتور أحمد على أنَّ مثل هذه الأحكام صدرت عن النحاة ، ولكنَّها كانت بشكل قليل ، فلم تُخصَّص لها أبوابٌ خاصَّة للحديث عنها ، باستثناء ما نجده في كتاب الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ، لذلك لا يمكن أن نحكم على النحاة بأنَّهم أطلقوا أحكامهم النقدية بشكلٍ يشمل قسماً كبيراً من اللهجات ، وإنَّما كانت تلك الأوصاف بشكلٍ مبعثرٍ هنا وهناك .

ويضع الدكتور حسام النعيمي في سياق حديثه عن الدراسات اللهجية والصوتيَّة قبل ابن جني مجموعةً من الانتقادات، كانت بمثابة نتائجَ توصَّل إليها ؛ فهو يرى أنَّ النحاة وهم يذكرون اللهجات لم يكونوا حريصين على التمسُّك بالطريقة التي يطمح العلماء المعاصرون إليها ، وهي إسنادُ كلِّ لهجة إلى قبيلتها بصورةٍ دقيقةٍ ، فقد كانوا يعزون اللهجة إلى القبيلة أحياناً ويكتفون بأنَّها لغةٌ لبعض العرب أحياناً ،وقد يختلفون في نسبة اللغة إلى القبيلة أحياناً أخرى ، وعقدوا موازناتٍ عقليةً بين اللهجات العربيَّة ، مستندين إلى الأقيسة المستنبطة من كلام العرب ،فأخذوا يطلقون أوصافاً تشير إلى رداءة اللهجة أو قبحِها أو جودتها ، واستعملوا مصطلح (مستقبح اللغات) بشكلٍ مضطربٍ ؛ فما يسميه بعضُهم قبيحاً يذكره بعضُهم من غير وصف ،وقد يذكره بعضُهم واصفاً تاركَه بالفصاحة ،وفي تعاملهم مع القراءات القرآنية ربَّما علَّلوها بأنَّها من لغات القبائل ، وقد يعيِّنون القبيلة التي وردت القراءة بلغتها ، وقد يكتفون بالقول : إنَّها لغةٌ دون ذكر علاقة ذلك باللهجات.[4]

إنَّ تعامل النحاة مع القراءات وتعليلها وتوجيهها دون ذكر علاقة ذلك باللهجات فيه نظرٌ؛ ذلك أنَّ الارتباط بين القراءات القرآنية واللهجات كان موجوداً ، إذا نظرنا إلى أنَّ الحكمة من نزول القراءات هو التيسير في تلاوة القرآن الكريم ، رُوي : ((أنَّ عمر سمع هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان ، فإذا هو على حروف لم يتلقَّنْها عمر من رسول الله

---

[1]: اللهجات العربية في التراث ، د. أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، 1983م ، قسم1 ، ص198

[2]: المرجع السابق ص198

[3]: ينظر: نفسه، ص192

[4]: ينظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د. حسام النعيمي ، دار الرشيد ، 1980 م ، ص73

ﷺ، قال فكدت أساورُه في الصلاة ، وتصبَّرت حتَّى سلَّم ، فلببته بردائه ، وانطلقت به أقوده إلى رسول الله فسمع منِّي ، وسمع منه ، وقال لكلٍّ منَّا : .... إنَّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسَّر منه)).[1]

ويقول ابن الجزري : ((ليس المرادُ بالسبعة حقيقةَ العدد ،بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل المراد السعةُ والتيسير ، وأنَّه لا حرجَ عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب ، من حيث إنَّ الله تعالى أذِن لهم في ذلك ، والعرب يطلقون لفظ (السبعين والسبعمائة) ، ولا يريدون حقيقة العدد ، بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر)) .[2]

لذا يمكن القول : إنَّ اختلاف اللَّهجات يمكن أن يكون سبباً في اختلاف القراءات القرآنية ؛فكلُّ قراءةٍ قرآنيةٍ كانت تعكس الواقع اللغوي لقبيلة القارئ ،فيقرأ بالوجه الصوتي أو الصرفي أو النحوي الذي هو متعارَفٌ عليه في القبيلة ،والذي كان على النحاة فعلُه هو توضيح هذه العلاقة بين الظاهرتين.

وقد اختلفت القراءات حتى صارت تُظهر ملامحَ وألواناً من اختلاف اللهجات ، لذلك فقد كان أصحاب الأمر ـفي بداية عصر القرآن ـ حريصين على ألاَّ تبلغ وجوه الاختلاف مبلغاً كبيراً ؛ خشيةً من أن تبلغ الاختلافات في وجوه القراءات مبلغاً يضيع فيه شيء من لغة التنزيل ، ولذلك منعوا ألاَّ يُقرأ كتاب الله في غير ما اتفق عليه جماعة الثقاة من القراء ، غير أنَّ هذا الحرص الشديد لم يمنع المسلمين في مختلف جهاتهم وأقاليمهم من القراءة بلغاتهم المحليَّة التي درجوا عليها ، ومن هنا نشأ في علم القراءات ما عُرف بالقراءات الشاذة ، [3] تلك القراءات التي خرجت عن الشروط التي حدَّدها ابن الجزري للقراءة المقبولة المتواترة ؛ وهي الموافقة للعربيَّة ولو بوجهٍ ، والموافقة لرسم أحد المصاحف ولو احتمالاً ، وصحَّة السند .[4]

إنَّ طموحات المُحدَثين تمثَّلت في أن تكون دراسة اللهجات دراسةً مستقلةً ، وتتميز كلُّ لهجة عن الأخرى ، ولم يجدوا ذلك المنهج في كتب النحاة ، فضلاً عن أنَّه لم تتوفر مادةٌ لغويَّةٌ بين أيديهم تمكِّنهم من التحرِّي والتثبت ،يقول الدكتور إبراهيم أنيس : ((ولسنا نعلم مؤلفاً من علماء العرب على وفرتهم واهتمامهم بكلِّ دقائق الدراسة اللغويَّة قد عني باللهجات العربيَّة عنايةً خاصَّةً ، فأفرد لها كتاباً مستقلاً ، وكلُّ ما نعلمه عن تلك اللهجات من روايات الأقدمين لا يعدو أن يكون مجردَ إشاراتٍ مبعثرةٍ هنا وهناك ، تضمَّنتها كتبُ التاريخ والأدب)) .[5]

وفي الحقيقة أنَّ الدكتور إبراهيم لم يُشِر إلى مثل هذه الكتب الأدبية والتاريخية ،وأنا لاأتفق معه في أنَّ تلك الإشارات اقتصرت على كتب الأدب والتاريخ فقط ؛ذلك أنَّ الإشارات إلى اللهجات في كتب اللغة والنحو–وإن كانت قليلةً – من خلال تصريح النحاة واللغويين المباشر بها تبقى أوضح ؛فكثيراً مانجد شعراً أو نثراً لايُعرَف إلى أية لهجة قيل بها إلَّا بالرجوع إلى نسب القائل ،ومثل هذه الكتب اللغويَّة والنحويَّة ككتاب فقه اللغة لأحمد بن فارس والخصائص لابن جني وكتاب سيبويه هي الحجر الأساس لدراسة موضوع اللهجات ؛فالخصائص الصوتيَّة والصرفيَّة والنحويَّة للهجة هي نقطة البدء لدراسة اللهجات ،هذا لايعني أنَّ كتب الأدب خاليةٌ من تلك الخصائص ،بل هي حاضرةٌ في لغة الشعر

---

[1]: الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، 1990م ، ص39

[2]: النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، صححه وراجعه الأستاذ علي محمد الضباع ، دار الكتاب العربي،ج 1 ، ص26

[3]: ينظر : التطور اللغوي التاريخي ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ص 83

[4] : ينظر : النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، ج1 ،ص9

[5]: اللهجات العربية ، د . إبراهيم أنيس ، ص32

والنثر ، ولكنَّ المسألة تتعلق في التفصيل الواضح في كتب اللغة والنحو كما وجدنا سابقاً عند ابن فارس وسيبويه والمبرد.

إنَّ دراسة اللهجات الحديثة من الناحية الأكاديمية من أهمِّ المصادر لدراسة اللهجات العربية القديمة؛ذلك أنَّ اللهجات الحديثة ليست إلاَّ نتيجةً لتطور القديم منها،واحتفظت ببعض خصائص اللهجات العربية القديمة ، ولم تستطع يد الزمن أن تبدِّلَ منها ، وتلك الخصائص ستكون عوناً في الكشف عن خصائص اللهجات العربية القديمة التي تخبَّط في روايتها مؤلِّفو العرب ، ولم يرووا عنها إلاَّ النادر ، متأثرين بعواملَ سياسيَّةٍ واجتماعيَّةٍ .[1]

ويقدِّم الدكتور عبد الغفار حامد هلال في دراسة للهجات نماذجَ متعددةً للهجات في الجزيرة رغم سيطرة اللهجة القرشية ، ومن جملة هذه النماذج التي قدَّمها : في حديثه عن ضميري الخطاب للمذكر (التاء والكاف) ، فأشار إلى أنَّه قد تُشبع فتحةُ المخاطب المذكر ، فتنشأ عنها ألف ، وتُشبع كسرةُ المخاطبة المؤنثة فتنشأ عنها ياءٌ ، فيقال : حضرتا ، حضرتي ، شاهدتكما ، شاهدتكي ، وهذا ينسب لربيعة ،وتجري عليها اللهجة العاميَّة في مصر .[2]

وينتهي الدكتور عبد الغفار إلى القول : ((ولو أنَّ الرواة اهتمُّوا بهذه اللهجات لنقلوا لنا فيضاً كبيراً كنَّا قد استفدنا منه ،لكنَّهم ـ لخوفهم على القرآن الكريم ولغتِه ـ اهتمُّوا باللغة العامَّة ، ولم يأبهوا لهذه اللهجات ، فنُسي معظمُها ،وتاه في الجزيرة ، وقُضي عليها ، على أنَّنا حين نشاهد بقايا هذه اللهجات يظهر واضحاً في كتب النحو التي تحاول أن تخلط اللهجات ، وتستخلص القواعد منها ، وتدافع عنها بالفلسفات ، كما نرى ذلك عند إعراب المثنى بحاليه ..... . وعند إعراب قراءة (إنَّ هذان لساحران) وقراءة (فكان أبواه مؤمنان) ، تذكر كتب النحو كثيراً من الآراء ، ومن الممكن أن نكتفي بتعليل واحدٍ قريبٍ وواقعيٍّ ،وهو أَنَّ هاتين القراءتين جاءتا حسب لهجةٍ عربيَّةٍ تُلزم المثنى الألف في جميع أحوال إعرابه ، وبهذا نريح التفكير العقلي من أن يضل في متاهات النحاة)).[3]

يتبين من كلام الدكتور عبد الغفار أنَّ إهمال اللهجات وعدمَ تصنيفها سببُه الرواة ، في حين كانت معظم إشارات المحدثين إلى أنَّ النحاة هم الذين وقعوا في هذا الخطأ مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ بعض رواة اللُّغة كانوا من علماء النحو كأبي عمرو بنِ العلاء ، وبناءً على ذلك يمكن أن نطرح السؤال التالي : هل كان إهمال اللهجات واقعاً عند عملية جمع اللغة وأخذِها عن القبائل من قبل الرواة ؟ أم أنَّ هذه اللهجات قد وصلت إلى النحاة و بعدها قد تمَّت عملية الانتقاء؟تلك الكيفيَّة التي لا يمكن معرفتُها إن أردنا البحث عنها ؛ لقلَّة المادة اللغويَّة التي من شأنها توضيحُ هذا الأمر.

---

[1]: ينظر : الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة نهضة مصر ، ص 186

[2]: ينظر : اللهجات العربية نشأة وتطورا ، د. عبد الغفار حامد هلال ، ص 386

[3]: المرجع السابق ، ص387

الاستنتاجات والتوصيات

من خلال ما تم تقديمه توصل البحث إلى النتائج التالية :

1- إنَّ مصطلح اللهجة واللغة لم يكن واضحاً عند نحاتنا القدماء ، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال التتبع للمؤلفات النحوية التي تتناول موضوع اللهجات العربية بمقتطفاتٍ قصيرةٍ ، لا يمكن من خلالها التوصل إلى ما يزيل هذا الغموض ، إلى أن جاء المحدثون ، وقاموا بشرح كثير حول تلك القضية .

2- إنَّ جلَّ انتقادات المُحدَثين فيما يخصُّ موضوع اللهجات تركَّزت حول عدم التصنيف المنهجي للهجات القبائل ؛ فلا توجد مصنفاتٌ تُعنى بهذا الأمر ، فالقبائل الفصيحة حُدِّدت ، والقبائل الخارجة عن ذلك التحديد غيرُ فصيحة .

3- إنَّ موضوع اللهجات موضوعٌ مهمٌّ جداً في الدراسات القديمة والحديثة ، لا يمكن إغفالُه؛ ذلك أنَّه الأساس لرحلة العلماء إلى البادية ، وهو أساسٌ من الأسس التي تأسس عليها السماع اللغوي في نظرية الاحتجاج ، وما جاء به المحدثون لا يمكن تجاهلُة في مجال الدراسات اللغويَّة والنحْويَّة ؛ كونه أضاء جانباً مهمَّاً فيما يتعلق بأمر اللهجات،فالتصنيف لجميع لغات القبائل وعدم الاقتصار على القبائل التي حددوها يحقق ما رمى إليه المُحدَثون ،ويمكن أن يُطلق اللغة من قيدها الزماني والمكاني من خلال التجويز لاستعمالاتٍ لغويَّةٍ ونحويَّةٍ وصرفيَّةٍ نطقت بها قبائل قيل عنها فصيحة وأُبعدت عن دائرة الاحتجاج.

المصادر والمراجع :

1. إبراهيم السامرائي، *التطور اللغوي التاريخي* ، دار الأندلس للنشر والطباعة والتوزيع.
2. إبراهيم أنيس ، *الأصوات اللغوية* ، مكتبة نهضة مصر.
3. إبراهيم أنيس ، *مستقبل اللغة العربية المشتركة* ، معهد الدراسات العربية ، 1960م .
4. إبراهيم أنيس ،*اللهجات العربية*، دار الفكر العربي ، مطبعة الرسالة .
5. ابن الأثير، *النهاية في غريب الحديث والأثر* ، دار ابن الجوزي ، ط1.
6. ابن الأنباري ، *الإنصاف في مسائل الخلاف* ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .
7. ابن الجزري، *النشر في القراءات العشر* ، صححه وراجعه: الأستاذ علي محمد الضباع ، دار الكتاب العربي.
8. ابن جني ، *الخصائص*، تح : محمد على النجار ، المكتبة العلمية ، دار الكتب المصرية .
9. ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تح : عبد الله محمد الدرويش ، ط1 ، 2004م .
10. ابن عقيل ، *شرح ابن عقيل* ، دار التراث ، القاهرة ، 1980م .
11. ابن منظور، *لسان العرب* ، ، دار صادر ، بيروت .
12. ابن هشام الأنصاري ،*أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك* ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت.
13. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، *الكتاب*، تح: عبد السلام هارون ، ط 3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1988م .
14. أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ، تعليق : أحمد حسن بسبح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997م.

15. أحمد علم الدين الجندي ، *اللهجات العربية في التراث*، الدار العربية للكتاب .
16. إيميل يعقوب وآخران، *قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية* ، ط 1 ، بيروت ، درا العلم للملايين ، 1987م .
17. بدر الدين العيني ، *المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية* ، بدر الدين العيني ، تح:أ. د. علي محمد فاخر و أ. د. أحمد السوداني و د. عبد العزيز فاخر ، دار السلام ، ط1 ، 2010 م.
18. تمام حسان ، الأصول ، عالم الكتب ، أميرة للطباعة .
19. تمام حسان، *اللغة بين المعيارية والوصفية*، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1958م.
20. الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح: عبد السلام هارون .
21. جونستون، *دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية* ، ترجمه وعلق عليه د. أحمد الضبيب ، الدار العربية للموسوعة ، ط2 ، 1983م.
22. حسام النعيمي، *الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني*، دار الرشيد ، 1980م .
23. حسن خميس الملخ ، *التفكير العلمي في النحو العربي*، دار الشروق للنشر .
24. سمر روحي الفيصل، *اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث*، اتحاد كتاب العرب .
25. السيوطي ، *الاقتراح في أصول النحو* ، ضبطه وعلق عليه :عبد الحكيم عطية ،دار البيروتي، 2006 م
26. السيوطي ،*المزهر في علوم اللغة* ، المكتبة العصرية ، بيروت .
27. شوقي ضيف ، *تاريخ الأدب العربي* ، دار المعارف ، ط1 .
28. صبحي الصالح ، *دراسات في فقه اللغة* ، دار العلم للملايين ، ط1 ، 1960 م .
29. طه حسين ، *في الأدب الجاهلي* ، القاهرة ، مطبعة فاروق .
30. عبد الغفار حامد هلال، *اللهجات العربية نشأة وتطورا* ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998م.
31. عبده الراجحي، *اللهجات العربية في القراءات القرآنية*، دار المعرفة الجامعية ، 1996م.
32. غالب فاضل المطلبي، *لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة* ، وزراة الثقافة ، الجمهورية العراقية ، 1978م.
33. الفراء ، *معاني القرآن* ، تح : أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار ، ط3 ، 1983م .
34. المبرد ، *المقتضب* ، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، 1994م .
35. محمد أسعد النادري، *فقه اللغة مناهله ومسائله* ، ، المكتبة العصرية ، بيروت .
36. محمد عبد المنعم خفاجي ، *الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام*، دار الجيل ، بيروت ، 1990م .
37. مصطفى صادق الرافعي، *تاريخ آداب العرب*، راجعه وضبطه عبدالله المنشاوي ، مكتبة الإيمان .

المجلات:

1– محمد شفيع الدين، *اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى (دراسة لغوية)* ، ، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية ، المجلد الرابع ، 2007م